

الفضيل الورتلاني وقضايا التحرّر؛ لفحات رجل نائر

Al-Faudil Al-Wartlani and the Issues of liberation
-Whispers of a Revolutionary man-

د. عبد المجيد قديدح

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعرييج (الجزائر)

abdelmadjid.kedideh@univ-bba.dz

تاريخ القبول: 2022/09/29

تاريخ الإرسال: 2022/09/03

ملخص:

يعدّ الشيخ "الفضيل الورتلاني" أحد أهمّ رجالات النهضة والإصلاح الذين وضعوا اللبّات الأولى والأسس الإصلاحية وسط الجالية الجزائرية في ديار الغربة؛ حيث كرّس حياته في خدمة القضية الأساسية لبلاده والدفاع عنها أينما حلّ وارتحل؛ وسخّر لها كل وقته وقدراته ومواهبه وتحمل متاعب الحياة واغترابها؛ فهو صاحب السبق في ميادين التعريف بالقضية الجزائرية عبر الأقطار العربية والغربية؛ ومن أصحاب الفضل في جلب الدعم المادي والمعنوي لها؛ وفي استقطاب الدعم السياسي للثورة التحريرية فيما بعد.

وتأسيسا على ما تقدّم؛ نحاول تسليط الضوء على شخصية هذا الرجل الفدّ –الفضيل الورتلاني– ومعرفة خبايا جهاده ونضاله وبيان إسهاماته في التعريف بقضية الجزائر خارج الوطن، ودوره البارز في قضايا التحرّر في الوطن العربي؛ ومدى سعيه في كسب الدعم والتأييد لهذه القضايا من أجل الحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية: الفضيل الورتلاني، رجل الإصلاح، قضايا التحرّر، همسات الحرية، النهضة الفكرية.

Abstract:

Sheikh "Al-Faudil Al-Wartlani" is considered one of the most important men of the Renaissance and reform who laid the first building blocks and the foundations of reform among the Algerian community in the lands of alienation; where he devoted his life to serving and defending the cause of his country wherever he went . He devoted all his time, abilities and talents, bearing the troubles and alienation of life. He is the first in the fields of introducing the Algerian cause across the Arab and Western countries. He is credited with bringing and material and moral support for the Liberation War later.

On the basis of the foregoing, we try to shed light on the personality of this outstanding man -Al-Faudil Al-Wartlani-, to know the secrets of his jihad and struggle , to explain his contributions to the definition of the issue of Algeria outside the country, his prominent role in issues of liberation in the Arab world and the extent of his efforts to gain support for these causes of freedom and independence.

keywords: Al-faudil al-wartlani, repair man, emancipation issues, freedom whispers, intellectual renaissance.

مقدمة:

كانت - وما زالت - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محضنا تربوياً لرجال الفكر والإصلاح في الجزائر أثناء حقبة الاحتلال الفرنسي الغاشم؛ هذه الجمعية تأسست مع بداية الثلاثينيات على يد مؤسسيها العظام، الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي والفضيل الورثلاني... إلخ.

يعتبر "الفضيل الورثلاني" من رجالها الإصلاحيين الذين أفنوا حياتهم في الدفاع عن الوطن حيثما وجدوا؛ فهو السباق في التعريف بالقضية الجزائرية في المهجر؛ وجلب الدعم المادي والسياسي للثورة التحررية فيما بعد.

ولأنّه كان مؤمناً - هو ومن معه - بمبدأ النضال السياسي والفعل التحرري على الرغم من المخاطر والصعوبات التي واجهته في سبيل تحقيق أهدافه؛ إلا أنّه ضحّى بالغالي والنفيس من أجل قضية بلاده؛ كما لم يغفل عن معاناة الشعوب العربية والإسلامية التي كانت تعاني من الاحتلال هي أيضاً (تونس؛ المغرب؛..)؛ ودافع عنها وسعى لتحقيق وحدة عربية متكاملة.

وانطلاقاً مما سبق ذكره؛ نحاول تسليط الضوء على شخصية هذا الرجل الفذّ -الفضيل الورتلاني- ومعرفة خبايا جهاده ونضاله وبيان إسهاماته في التعريف بقضية الجزائر خارج الوطن، ودوره البارز في قضايا التحرّر في الوطن العربي؛ ومدى سعيه في كسب الدعم والتأييد لهذه القضايا من أجل الحرية والاستقلال.

وقبل الإشارة الى القضايا التي اهتمّ بها- هذا الرجل الناصر - وبُعدها التحرري؛ حرّي بنا أن نعرّج قليلاً على أهمّ محطات حياة الشيخ -الفضيل الورتلاني- وسيرته الذاتية؛ ومسيرته العلمية التي ساعدته ودفعته إلى العطاء وبذل الجهد في هذا الجانب بخاصّة؛ وفي مختلف الجوانب الأخرى عامّة.

أولاً/ من تكون هذه القامة الفكرية الإصلاحية؟

هو الفضيل ابن محمد السعيد بن الفضيل بن محمد الشريف بن الحسين محمد الورتلاني ولد يوم 26 فبراير 1900م⁽¹⁾، وقيل أنه ولد في عام 1906م⁽²⁾، بقرية بني ورتلان⁽³⁾ دائرة بوقاعة، ولاية سطيف؛ من أسرة عريقة يتّصل نسبها بسلالة الأشراف ولقبه العائلي "حسين"⁽⁴⁾ اشتهر منها جدّه الحسين الورتلاني⁽⁵⁾ العالم والرحالة صاحب الرحلة المشهورة المسماة رحلة الورتلاني⁽⁶⁾ التي حقّقها ونشرها العالم محمد بن أبي شنب في مطلع هذا القرن⁽⁷⁾، واشتهر منها أيضاً جدّه الأعلى "سيدي أحمد الشريف الحسيني البجائي" العالم الفقيه صاحب الزاوية المعروفة في نواحي بني ورتلان⁽⁸⁾، وهي زاوية غنيّة عن التعريف؛ فقد أخرجت أعداداً كبيرة من أهل العلم والفضل والصلاح⁽⁹⁾.

نشأ الفضيل الورتلاني نشأة الصبا والحدّثة في أسرة عريقة وأرض صلبة، فاكسب بذلك قوة في العلم وصلابة في الدين⁽¹⁰⁾، ففتح أذنيه على الأصوات المجلجلة بالعلم والإصلاح من دروس عامرة بحقائق التنزيل والحكم والنبوة فهو محدود من بواكير هذه النهضة المباركة في الجزائر⁽¹¹⁾.

بعدما استقرّ الورتلاني في دولة تركيا في إطار مواصلة نضاله في خدمة بلاده، استطاع بفضل إخلاصه ونشاطه الدؤوب أن يحدث تحوّلاً ملموساً في موقف الحكومة التركية تجاه

الثورة الجزائرية، ومهّد بذلك إقناع تركيا العضو في الحلف الأطلسي بعدالة القضية الجزائرية⁽¹²⁾ على الرغم من تدهور صحته إلّا أنّه لم يتوقّف عن العمل وانتخب كأول مندوب لجهة التحرير الجزائرية بتركيا سنة 1958م⁽¹³⁾.

واستمرّ الورتلاني في جهاده ونضاله إلى أن مرض ووهنت صحته وأصابته أمراضا مزمنة ودخل المستشفى بأنقرة (تركيا) أين توقّاه الأجل⁽¹⁴⁾ بعد جهاد طويل، وكان ذلك يوم 12 مارس 1959م بأنقرة⁽¹⁵⁾، وفارق الحياة في بلاد الغربة بعيدا عن وطنه وذويه ولم يفترش جثمانه شيئا واحد من هذه الأرض الطيبة التي أحبّها وكافح من أجل تحريرها من الاحتلال الفرنسي البغيض؛ إلّا أن نقلت رفاته ودفنت بمسقط رأسه ببني ورتيلان سنة 1987.

ثانيا/ مسيرة الفضيل الورتلاني التعليمية:

أخذ الشيخ الفضيل الورتلاني علومه بمسقط رأسه⁽¹⁶⁾، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ العربية والعلوم الشرعية⁽¹⁷⁾، وتلقّى فيها دراسته الأولى على يد علماء اشتبهوا بالفقه وعلوم القرآن، وانقطعوا لخدمة الإسلام والمسلمين منهم العلامة الشيخ السعيد البهلولي⁽¹⁸⁾.

كما تعلّم منذ طفولته المبكرة - في أحضان أسرته - المحافظة على تعاليم الدين الحنيف والتشبّث بمبادئه، ونشأ على الاحترام والأخلاق والقيم الرفيعة⁽¹⁹⁾.

وفي سنة 1929م انتقل الورتلاني لاستكمال دراسته بالجامع الأخضر بقسنطينة، على يد الشيخ بن باديس⁽²⁰⁾، وانضم إلى صفوف الإمام فكان على حسب شهادة علي مرحوم يقول: "كان يتحلّى بروح قوية، ويمتاز بحيوية دافئة ونشاط داني، وحماس متزايد، يسعى دوما لربط صلاته بطلاب الشيخ ابن باديس الوافدين من مختلف مناطق الجزائر"⁽²¹⁾.

كان الفضيل الورتلاني من أبرز الطلاب النابغين إلى جانب مبارك الميلي وآخرين وكان يشرف عليهم الشيخ "ابن باديس" الذي كان يقوم بجمع تلاميذه في اجتماع عام ليزوّدهم بنصائح الثمينة، ويحثّهم على الجدّ والاجتهاد والابتعاد عن مواطن التي تعوقهم عن الانقطاع على الدراسة والتمسك بمكانة العلم مؤكدا على التحلي بكل خلق كريم⁽²²⁾.

عُرف "الفضيل الورتلاني" من بين زملائه بذكائه وطموحاته العالية، وهذا ما قاله عنه "بعزيز بن عمر" حيث تحدّث عنه قائلا: "عرفت الأخ الورتلاني أيام كان طالبا بقسنطينة وهو شاب يفيض ذكاءً ويفيض نبلاً وحماساً؛ يبتسم للحياة فلا تراه إلا متفائلاً بالمستقبل ويتطلع نحو الآفاق البعيدة..."⁽²³⁾.

ويذكر الشيخ وهو يتحدّث عن نشاطه وبعض خصائصه الذاتية، أنه في الغالب انتظم في سلك الطبقة الثانية عند التحاقه بدروس الإمام عبد الحميد بن باديس⁽²⁴⁾.

ومن خلال ما سبق ذكره فإنّ العلامة الفضيل الورتلاني تميّز منذ طفولته بذكائه وحذاقته وفطنته، ساعده هذا التميّز على شقّ طريق المفكرين والمصلحين؛ كما أتاح له فرصة الاحتكاك بالعلماء من أترابه، ممّا زاد من نشاطه وحماسه رفقة زملائه.

ثالثا/ الخدمة العسكرية وتأثيرها على الفضيل الورتلاني:

حين بلغ الفضيل الورتلاني العشرين من عمره، أُجبر على أداء الخدمة العسكرية⁽²⁵⁾ حيث أمضى فترة التجنيد الإجباري في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي، في الفترة ما بين 1927م إلى 1929م، ضمن فرقة 11 للرماة الجزائريين⁽²⁶⁾.

وفي خلال المدة التي قضاها في الجيش الفرنسي اكتشف ما كان يقاسيه الجزائريين⁽²⁷⁾ من ويلات؛ حيث لاحظ التمييز العنصري بين المتجنّدين المسلمين والأوروبيين⁽²⁸⁾.

هذه الفترة التي قضاها الورتلاني في الخدمة العسكرية، تُعدّ منعرجا حاسما في مسار حياته ونضاله، فقد ميّز الواقع الذي كان يعيشه رفقة أبناء وطنه من عنصريّة وتمييز عرقي جعله يتفطّن لحقيقة السياسة الفرنسية في الجزائر وما تهدف إليه، فقرّر في نفسه أن يكافح ويناضل بكل ما يملك من أجل تحرير بلاده ونصرتها.

وبعدما أكمل الورتلاني الخدمة العسكرية الإجبارية، عاد إلى مسقط رأسه ليواصل تعليمه الثانوي، شدّ الرحال إلى مدينة قسنطينة⁽²⁹⁾ وكان ذلك في أواخر 1929م، وذلك بهدف طلب العلم والاستزادة؛ وهناك جمعتة الأقدار بالإمام "عبد الحميد بن باديس" حيث انضمّ الفضيل إلى دروس الإمام⁽³⁰⁾، وهناك ظهرت مواهبه الفكرية وإخلاصه في

جهاده التربوي، فكان ذا معرفة واطّلاع واسعين عن شرائح المجتمع الجزائري وما كان يعانيه من ألم واضطهاد، فكلّ هذه القضايا جعلته صاحب دعوة بما يحمله من أفكار⁽³¹⁾، وقد كان الورتلاني شديد الارتباط بإمامه لسنوات، فتأثّر بمناعته في الخطابة وأصبح بذلك فارس منابر⁽³²⁾، وعند تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حضر "الفضيل الورتلاني" الاجتماع المنعقد بنادي الترقّي في العاصمة كان في شهر ذي الحجة 1931م، حيث أُنْتُخِبَ "عبد الحميد بن باديس" رئيساً لها، و"البشير الإبراهيمي" نائباً له وكلف "الفضيل الورتلاني" بالعضوية الاستشارية⁽³³⁾ كما كان يستخلف أستاذه في كثير من الاجتماعات والمناسبات وممثلاً له في نفس الوقت وهو ما يزال طالباً⁽³⁴⁾، وقد أكبر فيه الشيخ الطيّب العقبي⁽³⁵⁾ ما حباه الله من فصاحة وقوة بيان، حين ارتقى على جبهة الورتلاني بالتقبيل إعجاباً بعبقريته في الحجّة والبيان، يقول الشيخ العقبي: "لم يسبق لي أن أعجبتُ بخطيب عبقري بلغ القمة؛ وليس من عادتي تقبيل الرؤوس ولكن سأقبّل جبهة الفضيل العظيم هذه المرة"⁽³⁶⁾.

وفي سنة 1932م كلفه الإمام عبد الحميد بن باديس لتمثيل مجلة الشهاب⁽³⁷⁾ عبر الوطن، وكان ينتقل باسمها ويوضّح خطتها ويكثّر أنصارها، ويدعو إلى الإصلاح ومحاربة الضلال، وقد وجد ضالته في هذه المهمة، فقام بها خير قيام وأصبح اسمه يتردّد على ألسنة الناس بالإعجاب والتقدير⁽³⁸⁾، وقد تمّ تعيينه بعد تخرّجه سنة 1934م، معلّماً بمدرسة التربية والتعليم التي أنشأها ابن باديس بقسنطينة، وكان في تلك الفترة يكتب المقالات الأدبية والفكرية بالكثير من الجرائد كالشهاب والبصائر⁽³⁹⁾، ولما أفضى الفضيل الدروس المقرّرة لطلاب الإمام عبد الحميد بن باديس، سافر إلى تونس للاستزادة من العلم لكنّه عاد بعد فترة إلى شيخه ليقول له: "إني لم أجد عند غيرك ما يرغّبني في التّلمذ عليه"، فلازم شيخه بعد ذلك مشاركا له في أعماله متحمّلاً عنه بعض أعبائه في الدعوة والإصلاح⁽⁴⁰⁾، ونظراً لإمكاناته الفكرية ومعارفه العلمية والدينية وقدرته على الخطابة وإجادة الاتّصال، أوفدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين إلى باريس سنة 1936م في إطار نشاطها الإصلاحي والتربوي وأقام بها سنتين⁽⁴¹⁾، وقد انتقل إليها بأمر من إمامه ابن باديس والشيخ الإبراهيمي؛ ليردّ التائهين من أبناء قومه هداية الإسلام، ويزرع في قلوبهم حبّ الوطن والدّين واللغة، ليعيد إلى الجزائر قلوباً تنكّرت لها⁽⁴²⁾، وما إن حلّ بفرنسا حتى شرع بالولوج إلى

مجالس العمال في المقاهي والمطاعم وتجمعاتهم السكنية؛ يحدّثهم ويتعرّف على مشاكلهم ويخاطبهم بالسنتهم في غير تكلف⁽⁴³⁾، وكان حريصا يحذّر الناس حتى من نفسه قائلا: "إذا رأيتم منا انحرافا عن الجادة فضلا عن الخيانة؛ فقومونا إن اقتضى الحال بسيوفكم، وهكذا تعلمون مع كلّ من يزعم أنه يمددكم حتى تجمعوا بين المصلحين إحداهما تقوية المخلص وتشجيعه؛ والثانية إيقاف الخائن عن الخيانة الأولى"؛ وبهذا كسب تأييدهم وسرعان ما استجابوا لدعوته⁽⁴⁴⁾؛ حيث قام في ظرف وجيز بنهضة وطنية جزائرية جديدة بالإعجاب، فقد جمع شمل الجزائريين المتفرقين هناك؛ وألّف بينهم وكوّن عدّة نواد منها "نادي التهذيب" بباريس، ومراكز للدعوة الإسلامية التي كثر عليها الإقبال، وأصبح جهد الفرد لا يكفي لتسييرها، فاستمد الفضيل من جمعية العلماء بعض أعضائها ليساعده، فأمدته الجمعية بالشّاب الناهض الشيخ سعيد صالح⁽⁴⁵⁾ وقد كتب الورتلاني في جريدة البصائر "أنه استطاع أن يقيم خطبة في باريس بحضور أبناء الجمعية، وبعض تلامذة جمعية العلماء؛ واستطاعوا أن يسمّعوا باريس صوت الإسلام ويشرح سماحة الدين، ويدعو كل مسلم جزائري أن يهتم بتنمية هذه الحركة التي تصبو لغرس الإسلام في قلوب المسلمين"⁽⁴⁶⁾.

وفي هذا الإطار يقول الفتى الزواوي في جريدة الشهاب: إن الشيخ الفضيل الورتلاني قد بعث برسالة له يشير فيها إلى نشاطاته وتأسيسه لنوادي والفروع وإلقاء الدروس والمحاضرات...، وبهذا يكونوا قد حقّقوا غايتهم ونجاحهم في توجيه الرأي العام الإسلامي الجزائري⁽⁴⁷⁾؛ وهو ما يدلّ على الاهتمام المتزايد عند هذا الرجل العظيم بقضايا وطنه وقضايا أمّته.

رابعا/ أهم آثار الفضيل الورتلاني:

لم يترك الشيخ "الفضيل الورتلاني" رحمه الله تعالى سوى مقالات وخطب جمعت في مؤلّف واحد موسوم: "الجزائر الثائرة" وهو كما قيل من أشرق صفحات في تاريخ الجزائر والأمة العربية والإسلامية⁽⁴⁸⁾، وهو كتاب ضخم يحتوي كثيرا من عناصر التعبير عن لفحات الشعب الجزائري ومعاناته وآلامه من قبل الاحتلال الفرنسي الغاشم، وقد قامت جمعية عباد الرحمان ببيروت بطبعه ونشره عام 1963م؛ بعنوان "الجزائر الثائرة" وهي الطبعة الأولى.

خامسا/ بعض لفحات الرجل الثائر - الفضيل الورتلاني-

أ. اللفحة الأولى/ [إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر؛ اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء]⁽⁴⁹⁾ (*) :

حياكم الله أيّها الثائرون الأبطال، وبارك في جهادكم وأمدكم بنصره وتوفيقه؛ وكتب ميّتكم في الشهداء الأبرار، وحيّكم في عباده الأحرار؛ لقد أثبتتم بثورتكم المقدّسة هذه عدة حقائق:

● **الحقيقة الأولى:** أنكم سقّهتم دعوى فرنسا المفترية التي تزعم أنّ الجزائر راضية مطمئنة فأرّبتموها أن الرضى بالاستعمار كفر، وأن الاطمئنان لحكمه ذلّ، وأن الثورة على ظلمها فرض.

● **الحقيقة الثانية:** أنكم شددتم عضد إخوانكم المجاهدين في تونس ومراكش، وقويتهم آمالهم في النصر، وثبتم عزائمهم في النضال...

● **الحقيقة الثالثة:** أنكم وصلتم بثورتكم هذه حلقات الجهاد ضد المعتدين الظالمين. الذي كان طبيعة دائمة في الجزائر منذ كان. وكشفتهم عن حقيقة الرائعة في أباء الضيم والموت في سبيل العزة، وجلوتم عن نفسيته الجبارة ما علق بها في السنين الأخيرة من صداء الفتور.

● **الحقيقة الرابعة:** أنكم بيّضتم وجوها، وأقرّتم عيوننا، وسرّرتهم نفوسا، مملوءة بحبّكم معجبة بصفحاتكم القديمة في الجهاد رائية لحالتكم الحاضرة. أيّها المجاهدون الأحرار، إنّ فرنسا لم تترك لا دينا ولا دنيا إلى أن يقول: اعلّموا أنّ الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد؛ قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدّسا، فرضه عليكم دينكم وفرضته قوميتكم وفرضته رجولتكم، وفرضه ظلم الاستعمار العاشم الذي شملكم؛ ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم؛ لأنكم اليوم أمام أمرين، إما الحياة أو الموت، وإما بقاء كريم أو فناء شريف.

ب. اللفحة الثانية/ [ثلاث صرخات]⁽⁵⁰⁾ :

● [الصرخة الأولى]/ موجهة إلى فرنسا الكافرة الطاغية: صرخة موجهة إلى ذات الآذان الصمّاء عن الحق، وعن عويل الباكين، فرنسا التي تتماهى بالنذر وتعمى عن الحقائق وتكفر بسنن الله مع أمثالها من الظالمين، وتسجد للأقوياء وتتأله على الضعفاء.

هذه نتيجة سياستك البليدة، وهذا جني غرسك الخبيث، زرعت الحنظل فتجرّعي مرارته وحاربت الله في دينه ومحارب الله محروب، فأخزأك في جميع المواقف، ورمأك بالإفلاس في المال والرجال والرأي والسياسة.

حاولت أن تقطعي ما وصل الله من أجزاء الشمال الافريقي، وأن لا تجمعها إلا في بلاياك ومصائبك، فكان ظلمك أكبر جامع لشملمها، وأعظم موحد لها في بغضك، ثم في الثورة عليك، ويا ويحك إذا انفجرت عليك موجات الغضب من القلوب المملوءة حقداً عليك، والصدور التي ضاقت بظلمك وطغيانك، وقد رأيت وسترين ما يقصّ مضجعك ابتلعت المغرب العربي قطعة قطعة، وستخرجين منه دفعة واحدة بإذن الله.

● [الصرخة الثانية]/ موجهة إلى أبناء المغرب العربي كلهم:

اعلموا أيها المواطنون الأحرار، أن مهر الحرية غال، وأنه لا ينقد إلا دماء تراق ونفوساً تزهق، فوطنوا أنفسكم على تحمّل الشدائد والمكاره، وإن وطنكم عزيز فادفعوا في تحريره الثمن الباهظ.

إنكم قمتم بواجب لا يقبل منكم أدأؤه إلا بالحبّة وطهارة القلوب، واقتحمت ميداناً لا تنتصرون فيه إلا بالاتحاد وجمع الكلمة، وتسوية الصفوف، وتنظيم الخطط، والصبر على لبلاء في الأنفس والأموال، لأن كل بلاء يصيبكم في هذا السبيل فبلاء الاستعمار البغيض أشدّ منه وأنكى. أيها الأحرار: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران 200].

● [الصرخة الثالثة]/ موجهة إلى الشعوب العربية وحكوماتها:

يا أبناء العمومة..؛ إن هذه الشعوب الثائرة في تونس والجزائر ومراكش، هم إخوانكم وأجزاء من جسمكم، ونصف عددكم، والقطع الخصيبة من وطنكم، والسهام الراجحة من رأس مالكم، وقد ابتلاهم الله باستعمار منهوم، لم يترك لهم درهماً في جيب، ولا ريشة في جناح، ولا عقلاً في دماغ، فإذا ثاروا اليوم فإنما يتورون لشرف هو شرفكم، وكرامة هي كرامتكم، فالآن وجب حق الأخ على أخيه، من إسعاف يشدّ العزيمة ونجدة تقوّي الأمل وأن عدوّهم هو عدوّكم، لم تجدوه دائماً إلا في مواطن الخذلان لكم، وجلب الشر إليكم وكفى بموقفه منكم في قضية فلسطين.

إنّ الجحاملات لا تنفع مع هؤلاء المتألمين، فأروهم من أنفسكم القوة والمعاملة بالمثل يحترمكم؛ أنتم قادرون إن شاء الله على نجدة إخوانكم في موقفهم الفاصل الذين هم فيه وعارفون بوجوه النجدة، ولا تحتاجون- بحمد الله- إلى من يعرفكم بواجبٍ أو يدلّكم على كيفية أدائه، وإنما نحن مذكرون متألمون، وذكرى المتألم تنفع المؤمنين.

ت. **اللفحة الثالثة/ [نداء إلى الشعب الجزائري]**⁽⁵¹⁾:

إنّ الحديث عن اهتمام **الفضيل الورتلاني** بنشر الوعي التحرري في المجتمع الجزائري ومن خلاله العربي والعجمي؛ نجد له أثرا جليّا في أوّل نداء⁽⁵²⁾ إلى الشعب الجزائري بمناسبة اندلاع ثورة أوّل نوفمبر 1954؛ حيث استهلّ خطابه⁽⁵³⁾ بـ:

✓ أيها المسلمون الجزائريون: حيث خصّ الجزائريين بصفة الانتماء العقائدي (المسلمون) لتحريك دافع الدين فيهم؛ فيقبلون على كلامه بشغف.

✓ ثمّ يواصل قوله: "حيّاكم الله وأحياكم، وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نوراً يمشي من بين يديها ومن خلفها؛ هذا هو الصوت الذي يُسمع الأذان الصمّ، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطق الذي يقوم القلوب الغلف؛ وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب"؛ وهنا نجد يدعوهم ويدعو لهم؛ بأسلوب بديع يحرك فيهم روح العقيدة؛ للفت انتباههم إلى الصوت الذي يُسمع الأذان الصمّ؛ والدواء الذي يفتح الأعين المغمضة؛ والمنطق الذي يقوم القلوب الغلف؛ والشعاع الذي يخترق الحجب؛ إنّه صوت الدين؛ صوت الاسلام.

✓ ثمّ يذكرهم بما يُقال عنهم لشحن همهم؛ فيقول: "كان العالم يسمع بلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تثوروا، وكان يسمع أنينكم وتوجّعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، وكانت فرنسا تسوق شبابكم إلى المحازر البشرية في الحروب الاستعمارية فتموّت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمّدة، بل في سبيل فرنسا وتوسيع ممالكها وحماية ديارها، ولو أن العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء"؛ وهنا يشير في كلامه إلى السعادة التي تأتي بعد الشهادة التي لا ينال شرفها إلا الانسان المؤمن بها وبهذا الدين(الاسلام).

✓ كما يذكّرهم ويُعَدِّد لهم الأفعال الوحشية والخصال القبيحة للمحتلّ الفرنسي ليشعل نار الكره والبغض في قلوبهم لينتفضوا؛ فيقول:

أيّها الإخوة الجزائريون... احتلّت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع القرن وشهد لكم التاريخ بأنّكم قاومتُموها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين نصف هذه المدة فما رعت في حرّها لكم ديناً، ولا عهداً، ولا قانوناً، ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتحريق القبائل كاملة بديارها وحيواناتها وأقواتها. ثم حاربتُم معها في صقّها وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت أعداءها وحمت وطنها الأصلي، فما رعت لكم جيلاً، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم ثم تخذلكم، وتحيا بأبنائكم ثم تقتلكم، كما وقع معها في شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة أبنائكم الذين ماتوا في سبيلها وجلبوا لها النصر، إلا أنّها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزء ؟.

✓ ويواصل الورتلاني ندائه بسرد الحقائق بأسلوب حجاجي متميّز؛ حيث يقول لهم:

أيّها الأخوة الجزائريون الأبطال...؛ لم تثقّ لكم فرنسا شيئاً تخافون عليه أو تدارونها لأجله، ولم تبق لكم خيطاً من الأمل تتعلّلون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها؟ أم تخافون على الأموال وقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتكم، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا أسعدكم من يعمل فيها رقيقاً زراعياً معها... حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة في النفس! أم تخافون على القصور وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين، ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام الذي ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله واستعبدت أهله ومحت آثاره من الأرض، وهي تجتهد في محو آثاره من النفوس".

✓ ثم يواصل ندائه مستهلاً كلامه بأسلوب التوكيد ليقرّ حقيقة المحتلّ، أنّه ما جاء ليترك دينا ولا دنيا، يقول:

أيّها الإخوة المسلمون... إنّ فرنسا لم تبق لكم ديناً ولا دنياً، وكل إنسان في هذا الوجود البشري إنما يعيش بدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدوها فبطن الأرض خير له من ظهرها.

وإنّما سارت بكم من دركة إلى دركة حتى أصبحت تتحكّم في عقائدكم وشعائركم، وضمايركم، فالصلاة على هواها، والحجّ بيدها لا بأيديكم، والصوم برويتها لا برويتكم، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين عزمها على إحداث «إسلام جزائري» ومعناه إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين.

إنّ الرضى بسلب الأموال قد يُباني الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن.

إنّ شريعة فرنسا أنّها تأخذ البريء بذنب المجرم، وإنّما تنظر إليكم مسلمين أو ثائرين نظرة واحدة؛ وهي أنّها عدوّ لكم وأنكم عدوّ لها، ووالله لو سألتموها ألف سنة لما تغيّرت نظرتها العدائية لكم، وهي لذلك مصمّمة على محو دينكم وعروبنتكم وجميع مقوماتكم. إنّكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شرّ من الموت.

في الأخير ندرك أنّ جلّ نداءات الشيخ الورتلاني -سالف الذكر- التي وجهها إلى الشعب الجزائري كانت بمثابة لفحات مفعمة بحرقة كبيرة على وضع الجزائر؛ ترجمها أسلوبه الحجاجي القائم على الحجة والإقناع؛ المشقّع بالقيم الأخلاقية والحماسة الثورية؛ ما يؤكّده مضمونها الذي يخاطب العقل والقلب معاً من أجل توعية الشعب وتنويره؛ وكذا تحذيره بخطورة ما آل إليه الانسان الجزائري من ذلّ وهوان وتبعية للمحتلّ الغاشم؛ وقد استغلّ "الفضيل الورتلاني" ومن معه كل أساليب الإقناع اللغوية وغير اللغوية لترسيخ مبادئ الدين الإسلامي في أذهان الجزائريين، لأنّه كان يرى في الإسلام منبع يقظة للجزائريين، وأنّه العامل الأساس في توحيد صقّهم وفي تحريرهم من العبودية ومن الأفكار التئيسية التي زرعها الاحتلال الفرنسي في نفوس الشعب الجزائري.

خاتمة:

يُعدّ الظلم الفاحش من القضايا البغيضة التي تولّد لدى الانسان الحرّ مناعة ذاتية ومقاومة جماعية؛ وهو السلوك الطبيعي الذي تولّد لدى الإنسان الجزائري الأصيل إتان الاحتلال الفرنسي للظالم؛ ودفعه إلى الثّورة على أوضاعه المزرية (تعليميّة؛ اجتماعية؛ اقتصادية؛ سياسية؛ دينية؛ فكرية...) بعد زمن طويل، وأبى العيش في مثل هكذا أوضاع؛ فانتفض في وجه المحتلّ الفرنسي بكلّ إصرار وعزيمة وهو يدرك بأنّ الشيء الذي أخذ بالقوّة لا يُستردّ إلا بالقوّة؛ وأنّ الحرّيّة عروس مهرها الدماء وثمنها التضحيّة بالنفس والنفس.

وكما نعلم أنّ الظلم يولّد الانفجار - الانفجار - الذي سيلفح وجه الظالم ويكسر جبروته مهما كانت عدّته وعدده إنّ عاجلا أم آجلا. وهذا ما آمن به الشيخ "الفضيل الورتلاني" ورفاقه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين؛ وهم يدركون جيّدا أنّ دولة الظلم ساعة ودولة الحقّ إلى قيام الساعة؛ وأنّ للباطل جولة وللحقّ صولة ممّا رفع من عزيمتهم وعزيمة منّ معهم في الجمعيّة وخارجها؛ بالوقوف والتصدّي للاحتلال الكولونيالي عن طريق نشر الوعي في أوساط الشعب الجزائري وايقاظه من سباته؛ ودفعه إلى تبنيّ البعد التحرّري ومقاومة المحتلّ بكلّ الوسائل؛ فإنّما نصر يأتي بالحرّيّة أو استشهاد مثواه الجنّة؛ وصدق الشاعر "الشابي" إذ يقول:

إذا الشعب يوما أراد الحياة *** فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ ليل أن ينجلي *** ولا بدّ للقيد أن ينكسر

الهوامش والإحالات

- (1) - الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص4.
- (2) - ينظر: عبد النور آيت بعزیز، الشيخ الفضيل الورتلاني جهوده الإصلاحية ودفاعه عن القضية الجزائرية وقضايا التحرّر في العالم الإسلامي [1906-1956]؛ أطروحة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله؛ 2016/2015؛ ص20.
- (3) - بني ورتلان: هي منطقة جبلية واقعة جغرافيا في الشمال الغربي لولاية سطيف وهي أيضا تابعة إداريا إلى سطيف؛ تتميّز بالمناطق الطبيعية الساحرة؛ ينظر: آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية، دار المسلك، الجزائر؛ 2003؛ ص114.

- (4) - محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، ج2، ط2، دار موفم، الجزائر، 2008، ص106.
- (5) - الحسين الورتلاني [1713-1779]: ولد بقرية أنو بني ورتلان؛ اشتهر بكثرة أسفاره ورحلاته لزيارة الأولياء والصالحين ولقاء العلماء ورجال الدين أسس زاوية تنتسب إليه؛ قام بعدة رحلات داخل الجزائر وخارجها؛ تحدث عنها في كتابه الموسوم "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ينظر: الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد بن أبي شنب، ط1، فونتانة الشرقية الجزائر، 1908، ص73.
- (6) - رحلة الورتلاني: الموسومة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للإمام العلامة والأستاذ الشريف النوراني الحسين ابن محمد الورتلاني؛ نسبة إلى بني ورتلان، ينظر: الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار؛ مصدر سابق؛ ص 03. وينظر: سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا؛ دار هومة، الجزائر، 2001، ص102.
- (7) - يحي بوعزيز؛ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص176.
- (8) - سعيد بوزيان؛ شخصيات بارزة في كفاح الجزائر [1830-1962]؛ ج2؛ ط2؛ دار الأمل، الجزائر 2004، ص179.
- (9) - مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر- تاريخها ونشاطاته- ج1، دار البراق، بيروت 2002، ص3.
- (10) - جريدة البصائر؛ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني، ع110، الجزائر 1950، ص167.
- (11) - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2؛ [1940-1952]؛ ط1؛ دار العرب الإسلامي، بيروت؛ 1997؛ ص329.
- (12) - سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا، مرجع سابق؛ ص105.
- (13) - ينظر: يحي بوعزيز؛ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة؛ مرجع سابق؛ ص108.
- (14) - ينظر: سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا؛ مرجع سابق، ص189.
- (15) - عبد الحفيظ أمقران الحسني، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، ط1، دار الأمة، الجزائر 2010، ص15.
- (16) - محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة الجزائر، 2013، ص48.
- (17) - عمر بن قينة، أعلام الفكر والأدب والثقافة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000 ص44.

- (18) - السعيد البهلولي : ولد الشيخ السعيد البهلولي في قرية بني ورتلان ولاية سطيف حاليا؛ التي كانت منارة للهدى القرآني والرسالة النبوية وأصول الشريعة، وفق شهادة ميلاده بخط أبيه الشيخ الطاهر بهلول، ينظر: محمد الطاهر فضلاء، أعلام الجزائر - الشيخ السعيد البهلولي الورتلاني في مجموعة من رسائله ومجالاته وفتاويه [1945] - دار هومة، الجزائر، 2006، ص 6. وينظر: محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 106.
- (19) - نظارة الشؤون الدينية لولاية سطيف، العلامة المجاهد الشيخ الفضيل الورتلاني، مجلة أول نوفمبر، لسان المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة فضيلة، العدد 175، أبريل 2011، ص 123.
- (20) - عبد الحميد ابن باديس [1889-1940]؛ غني عن كل تعريف؛ فهو مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م؛ التي تهدف إلى الإصلاح والنهضة ومحاربة البدع والشعوذة.
- (21) - عبدالله العقيل، اعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ج 1، ط 8، دار البشير، 2008، ص 692.
- (22) - مسعود بن موسى فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده، ط 1، دار قرطبة، الجزائر، 2006، ص 23.
- (23) - ينظر: الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة؛ المصدر السابق، ص 15.
- (24) - المصدر نفسه، ص 15.
- (25) - سفيان لصطب، علماء منطقة بني ورتلان " المولود الحافظي نموذجاً [1880-1948]؛ مذكره مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015/2016؛ ص 29.
- (26) - عبد النور آيت بعزیز، الشيخ الفضيل الورتلاني جهوده الإصلاحية ودفاعه عن القضية الجزائرية وقضايا التحرر في العالم الإسلامي [1906-1956] مرجع سابق، ص 26.
- (27) - ينظر: سعيد بوزيان؛ شخصيات بارزة في كفاح الجزائر [1830-1962]؛ مرجع سابق؛ ص 179.
- (28) - ينظر: يحي بوعزیز؛ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة؛ مرجع سابق؛ ص 176.
- (29) - ينظر: المرجع نفسه، ص 177.
- (30) - سعيد بوزيان؛ شخصيات بارزة في كفاح الجزائر [1830-1962]؛ مرجع سابق؛ ص 179.
- (31) - ينظر: حسب الله علوان الشمري، واجهات الفكر الدعوي الإصلاحي للشيخ الفضيل الورتلاني مجلة كلية التربية الأساسية، مج 20، ع 82، المديرية العامة للتربية؛ محافظة ديالى، (د.ت)، ص 5.
- (32) - محمد البشير الإبراهيمي؛ ج 2، المصدر السابق، ص 329.

- (33) - بلعربي عمر، أعلام الحركة الإصلاحية بالعرب الجزائري دراسة في التسيير والمواقف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2017/2018؛ ص 57.
- (34) - الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة؛ مصدر سابق، ص 36.
- (35) - الطيب العقبي: هو من أبرز رجالات جمعية العلماء المسلمين، وهو كاتب وصحفي قدير وصاحب جريدة الإصلاح الأسبوعية؛ ينظر: رابح تركي عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤوسها الثلاث، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ 1933، ص 141.
- (36) - سعيد بوزيان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر؛ مرجع سابق، ص 181.
- (37) - الشهاب: هي جريدة برزت بعاصمة قسنطينة، تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية يدير شؤونها صاحب الامتيازها السيد أحمد بوشمال؛ تطبع صبيحة يوم الخميس من كل أسبوع؛ وابن باديس هو الذي يكيف مناهجها ويشرف على تحريرها، ينظر: مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تحقيق: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص 88.
- (38) - الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة؛ المصدر السابق، ص 04.
- (39) - البصائر: جريدة المبادئ الصحيحة والأفكار القومية، وهي إحدى الدعائم القومية التي تقوم عليها رسالة جمعية العلماء، ظهرت الجريدة في الميدان الصحفي سنة 1935م وشعارها دائما البيان العربي والوطنية الحققة، ينظر: مولود عويمر؛ تراث الحركة الإصلاحية، ج 1، ط 1، دار القومية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 25.
- (40) - سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا [1936-1956]؛ مرجع سابق 103
- (41) - عمار هلال، العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين؛ (1413هـ)، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 317. وينظر: عمر بن قنية، أعلام الفكر والأدب والثقافة (مرجع سابق)، ص 45.
- (42) - محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقدمه نجله أحمد طالب الإبراهيمي ج 2، عيون البصائر، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1891، ص 25.
- (43) - ينظر: سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا، مرجع سابق؛ ص 106.
- (44) - عبد النور آيت بعزبز، الشيخ الفضيل الورتلاني جهوده الإصلاحية؛ مرجع سابق، ص 88.
- (45) - الشيخ سعيد صالح: قائد الحركة الإصلاحية في بني يعلو؛ أسس نادي الشباب ومدرسة الإصلاح في قرية قنزات قريبة من بني ورتلان؛ ينظر: سعيد بوزيان، نشاط جمعية العلماء المسلمين؛ مرجع سابق، ص 112.

- (46) - البصائر؛ الفضيل الورتلاني، جمعية التهذيب وعيد الفطر بباريس، العدد 40، جانفي 1937، ص 38
- (47) - ينظر: الشهاب، ج 9، مج 12، قسنطينة؛ 1936؛ ص 404.
- (48) - ينظر: الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة؛ مصدر سابق، ص 33.
- (49) - ينظر: الشيخ الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة؛ طبعة بيروت، سنة 1963 ص: 174.
- (^{٥٠}) - بيان أمضاه الشيخان: البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني، يوم 3 نوفمبر 1954م بمدينة القاهرة (مصر) ونُشر في الصحافة المصرية وغيرها، بعنوان: "إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر؛ اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء".
- (50) - ينظر: المصدر نفسه؛ ص 172.
- (51) - ينظر: المصدر نفسه؛ ص 174.
- (52) - ينظر: مذكرات الشيخ محمد خير الدين؛ البصائر، العدد 276، السنة السابعة، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ص 364 وما بعدها، وقد صدر هذا النداء في القاهرة يوم: 15/11/1954م، أي بعد اندلاع الثورة بـ 15 يوما (موقع من الشيخين: البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني)؛ ينظر: الشيخ الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة؛ طبعة بيروت، سنة 1963 ص: 174. وينظر: سليمان الصيد المحامي: ردّ شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 1995م. ص 44.
- (53) - ينظر: المجلس الأعلى للغة العربية؛ مقتطفات من آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي؛ كتاب أصدره المجلس الأعلى للغة العربية بمناسبة اليوم الدراسي الموسوم بـ: الامام محمد البشير الإبراهيمي منور الأذهان وفارس البيان؛ الجزائر؛ 01-06-2009. ص 11 وما بعدها.